

أمر الخديو إسماعيل بعيارته وتشبيده على أتم شكل وأحسن نظام، واستغرقت العملية التي أشرف عليها على باشا مبارك ووصفها في خطه، عشر سنوات. هذه ملامح مما حدث لسبط الرسول، ﷺ، وحضور رأسه الشريف إلى مصر، وتشريف مصر به. مما يجعل المشهد الحسيني قبلة لمحبي آل البيت، والمؤمنين الصابرين المجاهدين.

* * *

أقيم المشهد الحسيني، لكن الدولة الفاطمية تلاشت.

ومما يثبت وجود الرأس الشريف، أن الأيوبيين الذين انهبوا الحكم الفاطمي الشيعي بمصر، اهتموا بالمشهد. فصالح الدين جعل به حلقة تدريس وفقهاء، وفوض ذلك للفقير البهاء الدمشقي السني المذهب. وكان يجلس عند المحراب الذي يقع الضريح خلفه. وفي مكان هذه المدرسة بنى المسجد الحسيني. وزيادة في الاهتمام - كما يقول الأثرى حسن عبد الوهاب - فإن صالح الدين الأيوبي أهدى للمشهد مقصورة، تشبه المقصورة التي أهداها للإمام الشافعي عام ٥٧٤ هـ. (وقبل صلاح الدين كان الملك الصالح نجم الدين أيوب، الذي بنى إيواناً للتدريس، وبيوتاً خاصة للفقهاء. وقد وصفها ابن جبير في رحلته. وهذا الرحالة زار مصر عام ٥٧٨ هجرية. وفي عصر الكامل الأيوبي بنيت المنارة على باب المشهد عام ٦٣٤، تعلق الباب الأخضر تهدم معظمها ولم يبق منها حتى الآن إلا القاعدة المربعة وعليها لوحتان تثبتان ذلك.

وفي عصر الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧ هجرية)، احترق بناء المشهد في عام ٦٤٠ هجرية. وقد رممه الصالح ووسعه، وألحق به ساقية وميضأة، ووقف عليه أراضى؛ وظلت العناية بالمشهد الحسيني أيام المماليك. فالظاهر بيبرس حين بيعت قطعة أرض بجانب المشهد من حقوق القصر الفاطمي، رد ثمنها وهو ٦ آلاف درهم ووقفها على الجامع. ثم إن الناصر محمد بن قلاوون وسع المسجد عام ٦٨٤ هجرية.